جامعة غليزان
RELIZANE UNIVERSITY

معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

شعبة علوم الإعلام والاتصال

محاضرات مقياس: الدراسات الثقافية

السنة أولى ماستر، تخصص: **اتصال جماهيري والوسائط الجديدة.**

إعداد الأستاذة: **عتيقة عزالدين.**

attika.azzeddine@univ-relizane.dz

2022/2021

المحاضرة الأولى: مدخل عام للدراسات الثقافية

1. ما المقصود بالدراسات الثقافية؟

هي حقل أكاديمي ونشاط فكري متعدد الاهتمامات تنهل من توجهات فكرية متباينة، وتتميز منهجيا بتعدد الاختصاصات، فهي توظف نظريات الأدب والفلسفة والتحليل النفسي واللسانيات ونظرية المعرفة وعلم الاجتماع والفنون وغيرها من الأجهزة المعرفية المتنوعة.

الهدف منها هو فهم "كيف تتشكل الثقافة تاريخيا" وكيف "ينتج المعنى" وكيف "يستخدم كسلطة" من خلال تحليل نقدي لشتى الأنماط والسلوكيات الثقافية السائدة في المجتمعات المختلفة.

2. لمحة تاريخية حول تشكّل الدراسات الثقافية

يمكن تقصّي الجذور التاريخية للدراسات الثقافية في سياق تكونها كتخصص أكاديمي بالرجوع إلى أعمال **رايموند ويليامز R.Williams** و**ريتشارد هوجارت R.Hoggart** في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن العشرين واعتُبرت ثورة ضد منهج الدراسات الأدبية الكلاسيكية وضد المفهوم التقليدي للثقافة...حتى نصل إلى إنشاء **مركز بيرمنغهام** للدراسات الثقافية المعاصرة بريطانيا **CCCS** سنة 1964 تحت إدارة **هوجارت** ثم تولاه بعده **ستيوارت هول S.Hal** بتبنّي اتجاه علمي متعدد التخصصات في دراسة الثقافة لا يعتمد فقد على الاتجاهات التقليدية المستمدة من العلوم الاجتماعية بل يضم حتى اتجاهات أكثر تطرّفا كالحركة الماركسية والنسوية والسيميوطيقا (علم العلامات)...بالتالي ميلادها كحقل علمي كان في بريطانيا والدول الأنجلوساكسونية قبل أن ينتشر ليشمل الدول الفرنكفونية، وبعدها أخذ طابعا عالميا مع التوجه العولمي الذي حصل حديثا على صعيد الحياة المختلفة فكريا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا. ومن ثمّ مهّدت الطريق نحو تقديم صياغة جديدة أكثر دقة لمضامين مصطلح الثقافة، ووسعت شبكة موضوعاتها لتشمل كل الأنواع والممارسات الدالة والثقافات المعيشة، التي ظلت لزمن طويل تصنف من منظور الثقافة الرفيعة في خانة

"اللاّنص" أي ممارسات وضيعة وأشكال دنيا غير جديرة بالدراسة والتحليل، حيث كانت الثقافة الرفيعة (الأدب والفنون والجماليات والفلسفة) تحتل مركز الصدارة في الدراسة الأدبية والتحليل الثقافي والاجتماعي، ثم انقلب الوضع مع الدراسات الثقافية، وصار الاهتمام بأشكال الثقافة الشعبية (الموسيقى الشعبية، المجلات الترفيهية، المسلسلات والبرامج التلفزيونية، الروايات البوليسية، ألعاب الفيديو...) يحتل الأولوية في التحليل والدراسة. مما أدى إلى تحطيم النزعة المعيارية الأكاديمية التي تميز بين ما هو رفيع وما هو شعبي، بين الأدبي وغير الأدبي، وبين الجمالي والثقافي، على أساس معيار القيمة الفنية.

بالتالي أصبحت مقاربة الدراسات الثقافية تركز على تحليل الثقافة من زاوية تعرية علاقات القوة وتهتم بكل ما يُحدث التأثير في حياة الناس العادية وتجاربهم اليومية.

3. المداخل البحثية للدراسات الثقافية.

من المباحث الهامة لهذا الحقل العلمي نجد البحث في الثقافة والمجتمع، دراسات ما بعد الاستعمار (النيوكولونيالية)، الاستشراق، التنوير والحداثة، دراسات ما بعد الحداثة والنهايات، الثقافة الشعبية، التعددية الثقافية، الثقافة الشعبية، الهويات، الأقليات العرقية (الإثنيات)، الدراسات الدينية، التاريخ والفلسفة، السيميائيات، الماركسية، الفن والذوق الجمالي، الصناعات الثقافية ونظريات الثقافة..

كما أن تهتم الدراسات الثقافية بعديد المجالات كالبحث في قضايا التعصب والتسامح، الثقافة والأيديولوجيا، السياسة والسلطة والديمقراطية، الحركات النسوية، المجتمع وإشكاليات البيئة (الإيكولوجيا)، الهويات الثقافية، قضايا اللغة واللسانيات، الهويات المنفتحة والمنغلقة، إشكاليات الأنا والآخر..

ومن المفاهيم الأساسية في الدراسات الثقافية: الخطاب والسلطة والهوية والثقافة.

المحاضرة الثانية: ماهية الثقافة

1. مفهوم الثقافة:

من أكثر المفاهيم تداولا وشيوعا وفي نفس الوقت غامضا ومثيرا للجدل، تباينت حوله جهود الباحثين الذين حاولوا تحديد ملامحه، مثلا المفكّر **مالك بن نبي** يربط الثقافة بالأفكار معتبرا أن مسار تطور أي مجتمع ما هو إلا انعكاس لمسار تطور أفكاره ويقول: "إن تنظيم المجتمع وحياته وحركته، بل فوضاه وخموده وركوده وكل هذه الأمور ذات علاقة وظيفية بنظام الأفكار المنتشرة في ذلك المجتمع". فهو يركّز على فعالية الأفكار وحامليها ومنتجيها ومتلقّيها، ويرى بأن فعالية الأفراد هي التي تحدد وتتحكم في فعالية العوامل الأخرى، وتقليص فعاليتهم يعني احتواء للتخلف.

أما عالم الفيزياء الألماني **ألبرت أينشتاين** فيقول: "هي ما يبقى بعدما تنسى كل ما تعلمته في المدرسة"، ولعل من أقدم التعريفات للثقافة وأكثرها ذيوعا حتى الآن لقيمتها التاريخية التعريف الذي قدمه مؤسس علم الانثروبولوجيا الثقافية **ادوارد تايلور Edward Tylor** في أواخر القرن ال19 في كتابه "الثقافة البدائية " سنة 1871: "الثقافة والحضارة هي ذلك الكل

المركب الذي يشمل المعرفة، المعتقدات، القيم، الفنون، الأخلاق، القانون، الأعراف والتقاليد، وكل القدرات والطباع التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع".

أوضح **تايلور** التقارب الكبير بين الثقافة والحضارة من ناحية التركيبة المتنوعة التي تشمل كل ما له علاقة بالمجتمع، بإبرازه للعناصر اللامادية للثقافة التي يكتسبها الفرد من خلال العلاقات الاجتماعية بفعل عملية الاتصال، وتتجلى هذه المكتسبات فرديا أو مجتمعيا في القيم، ظواهر السلوك، الممارسات المعنوية، المواقف..مما يشكل الخصوصية الثقافية والقومية العامة لهذا المجتمع. فالطفل مثلا ينمو في مجتمع له ثقافته الخاصة فتتكون ثقافته بما يتعلمه وما يمر به من خبرات ومعارف وتجارب في حياته من خلال تواصله واحتكاكه ومعايشته للمجموعات التي ينتمي إليها. بالتالي معتقداته وقيمه وعاداته وغيرها من مكونات الثقافة تؤثر على الطريقة التي يستجيب بها لمواقف معينة في حياته اليومية.

2. عناصر الثقافة:

إن دراسة ثقافة أي مجتمع تتطلب القيام بتحليل هذه الثقافة الى العناصر الرئيسية التي تتكون منها حتى يسهل فهم النمط الثقافي الذي نقوم بدراسته، وأشهر تقسيم للثقافة هو ما أورده عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي **رالف لينتون** Ralph Linton في كتابه " الأساس الثقافي للشخصية" حيث اعتبر أن كل ثقافة لها مركزا مستقرا نسبيا يتكون من عموميات وخصوصيات مندمجة ومتآلفة، تحيط بها منطقة مائعة متغيرة باستمرار سمّاها البدائل، وهكذا فإن أنماط الثقافة بالنسبة إليه تقسم الى ثلاث أقسام:

- **العموميات** : تشمل العناصر الهامة الموحّدة التي يشترك فيها جميع أفراد المجتمع كالدين، اللغة، العادات والتقاليد، منظومة القيم والمعايير التي تحكم سلوك الفرد وجميع مظاهر الحياة في المجتمع.
- **الخصوصيات** : سمات ثقافية تشترك فيها جماعات خاصة داخل المجتمع دون غيرهم:

أ) خصوصيات مهنية: تستلزم لممارساتها خبرات ومهارات فنية ومصطلحات خاصة كالفئات المهنية والتخصص (الطب، التدريس، الهندسة، الزراعة...) ويمكن للغير أن يحيط بها بصفة عامة دون تخصص.

ب) خصوصيات طبقية: نجدها في التقسيم الطبقي للمجتمع (راقية، متوسطة، عادية) فكل طبقة من هذه الطبقات لها ثقافة واهتمامات خاصة بها.

- **البدائل (المتغيّرات):** عناصر دخيلة على ثقافة المجتمع تتسرّب وتُقتبس من ثقافة مجتمع آخر بفعل الاحتكاك أو الاتصال والتلقّي، تتسم بالقلق والاضطراب إلى أن تستقر على وضع تتحول فيه إلى خصوصيات أو عموميات ثقافية، أو يرفضها المجتمع.

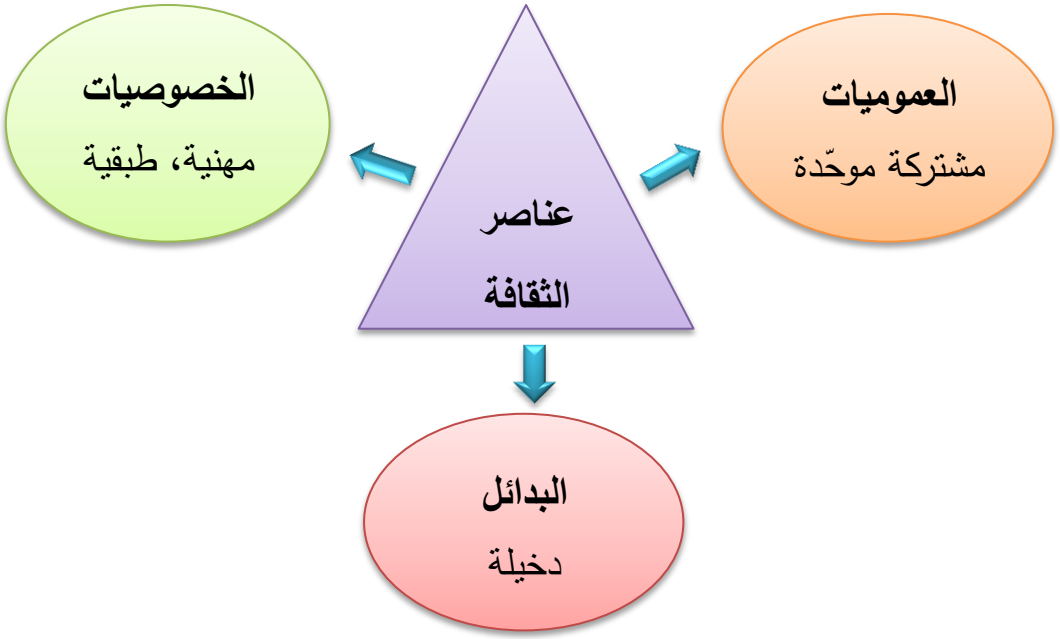

3. أنواع الثقافة:

- **الثقافة النخبوية:** يُقصد بها الثقافة التي تحصلت عليها نخبة من المجتمع بواسطة عدة وسائل منها الكتب التي لا يقرأها إلا من يعرف القراءة والكتابة، ويطلق عليها اسم "الثقافة العالمية" وتضم طريقة الحياة المادية والروحية التي تمنح لكل أمة خصوصيتها، تمتد من

طريقة الملبس والمأكل والضحك إلى مكونات الذاكرة الجماعية والخيال الاجتماعي* والإرسال الرمزي**، فهي تشير إلى المعطيات ذات الخصوصية المتميزة بدرجة عالية من الرقي، وفي الوسط الثقافي أعلى درجات الإبداع الإنساني، فالأعمال الفنية ذات الحضور المستمر تُعد مثالا عن الثقافة العالمية كالأوبرا والسمفونيات الكلاسيكية لـ **بيتهوفن** و**موزار** واللوحات الفنية لـ **ليوناردو دافنشي** وأعمال **شكسبير** والعديد من نماذج الثقافة العالية، التي يُنظر إليها كأرقى أشكال الثقافة.

من أبرز صفات الثقافة النخبوية أنها تنحصر في طبقة دون باقي الطبقات المجتمعية، طبقة تعيش رخاء ورُقي اجتماعي لدرجة أنها لا تهتم بما تهتم به الطبقات الأخرى دون المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، التي ربما يكون جل تفكيرها كيفية تحسين مستواهم المادي، ومع ذلك يملكون ثقافة تميز مستواهم ومكانتهم بين باقي الثقافات تُدعى بالثقافة الشعبية.

- **الثقافة الشعبية:** هي عكس الأولى نسبيا، تعني الثقافة الشفوية التي يتناقلها المجتمع من جيل لآخر شفويا كالشعر الملحون والحكايات والعادات والتقاليد، وفي الغرب تسمى الفلكلور***من غناء ورقص، وفي بعض المراجع ينظر لها على أنها ثقافة الناس العاديين، فثقافة العامة تتكون ذاتيا من خلال حياة وتجارب الأفراد مثلا الأغاني التقليدية والقصص المتنقلة من جيل لجيل، وينظر لها باعتبارها أقل قيمة من الثقافة العالية. في حين يرى بعض الباحثين أنها لا تقل أهمية عن باقي أنواع الثقافات، فالفلكلور في رأيهم ليس مجرد رقصات وغناء وكلمات تعبر عن آراء ومعتقدات الطبقات المجتمعية الشعبية، بل هو صورة أخرى للحياة وانعكاس للأفراد وطريقة معيشتهم.

---

* الخيال الاجتماعي: عنوان كتاب **رايت ميلز** Wright Mills's (1959) يشجع على التأمل في الصورة الأشمل وتوسيع زاوية النظر بدل الزاوية الأحادية، والقيمة الرمزية لطقوسنا اليومية مثلا الالتقاء بصديق لشرب القهوة هو نشاط اجتماعي لتبادل الحديث والنقاش وليس الهدف هو احتساء القهوة...

** الإيحاء والتلميح والدلالة الغير مباشرة بدل الأسلوب التقريري المباشر.

*** كلمة ألمانية الأصل Volkskunde ترجمتها علم الشعوب، ومعناها الإرث الثقافي عن الأجداد.

لكن تطور وسائل الاتصال الجماهيرية أثر على طبيعة هذا النوع مخلفا ما يسمى بـ"جمهرة الثقافة"، ومحاولًة فرضها على كل الطبقات المجتمعية لخلق نمط واحد عالمي.

- **الثقافة الجماهيرية:** الثقافة الجماهيرية أو جمهرة الثقافة عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرية، وما تحاول كسبه على حساب المادة الإعلامية التي تقدمها هذه التقنيات الحديثة، بالتأثير عليهم من خلال المسلسلات، إشهارات، أغاني..معتمدة الجانب الاستهلاكي كقاعدة، فإذا كان الإنسان هو العامل المحرك في الثقافة النخبوية والشعبية، فإن الجماهيرية تعتمد على التقنية كعامل أساسي إلى جانب الفرد في توسيع أفكارها ومنتقياتها الاستهلاكية. وهذا التأثير يكون بالتكرار وطول الزمن، وبذلك فهي غالبا ما تصطدم بالنوعين السابقين.

ويذهب الباحثين لرصد قيمة هذا النوع في اتجاهين: أحدهما يقول أن ثقافة الجماهير تُذيب الفوارق الثقافية الموجودة، والتي يعتبرها **جورج ديهاميل** "من مقومات الفردية الخالقة" individualisme، كما ارتفع مستوى الثقافة الجماهيرية بشكل كبير مع تطور وسائل الإعلام، مما أدّى إلى إفساد الثقافة العليا بالاستهلاك المفرط.

4. خصائص الثقافة ووظائفها:

- ✓ مكتسبة وليست وراثية أو غريزية، فهي من اكتشاف الإنسان يكتسبها من خلال تطور حياته الاجتماعية فنا وفكرا وسلوكا.
- ✓ متناقلة من جيل إلى آخر من خلال العادات والتقاليد والقوانين والأعراف والتعلّم...
- ✓ متطوّرة وقابلة للتعديل والتغيير حسب الظروف الخاصة بكل مرحلة ويمكن للأجيال الجديدة إضافة مكتسبات ومفاهيم جديدة عن الأجيال السابقة.
- ✓ تنبؤية أي يمكن التنبؤ بسلوك وأسلوب الأشخاص بحكم انتماءاتهم الاجتماعية...

أما **وظائف الثقافة وأهدافها الرئيسية:**

- ✓ إكساب الفرد المعارف والخبرات اللازمة للتعامل مع مجتمعه وإشباع حاجاته النفسية والبيولوجية.
- ✓ تمثل نوعا من أنواع الضبط الاجتماعي بما تفرضه من معايير للسلوك لا يستطيع الفرد الخروج منها.
- ✓ المحافظة على الوحدة والتنوع داخل المجتمع، بأن تحقق نوعا من التوازن بين عمومية المبادئ وخصوصية الطقوس.
- ✓ تمييز المجتمعات عن بعضها البعض.
- ✓ المحافظة على التراث القديم للمجتمع والعمل على نقله للأجيال الجديدة.
- ✓ تمثل الثقافة خط الدفاع الأخير ضد أي غزو أيا كان نوعه.

المحاضرة الثالثة: الهوية الثقافية ومقوّماتها

1. جدلية الهوية والثقافة:

الهوية في معجم المعاني ترجه إلى "هو" بمعنى جوهر الشيء وحقيقته المطلقة، هوية الإنسان أي ثوابته التي تتجدد ولا تتغير وبصمته التي يتميز بها عن غيره. والهوية الوطنية: معالمها وأصالتها وخصالها المميزة. إذن الهوية هي الشفرة التي تمكّن الفرد من معرفة نفسه ويتعرّف عليه الآخرون باعتباره منتميا إلى تلك الجماعة، وتتجلّى خصوصيتها عندما يكون في مواجهة الآخر الذي قد يكون فردا أو أسرة أو جماعة أو مجتمع أثناء علاقاته معهم.

ومنه تتحدد **مستويات الهوية:**

- **الهوية الفردية:** أول باحث اهتم بالهوية الفردية في مجال العلوم الإنسانية هو الأخصائي في علم النفس الأمريكي **إيريك اريكسون** Eric Ericson سنة 1950 في إطار البحث حول الشباب المراهق وتحليل مظاهر أزمة الهوية الذاتية عند فئة عمرية ما بين 12 و20 سنة على ضوء الثقافة الأمريكية بعنوان "المراهق وأزمة البحث عن الهوية" ويستعمل مصطلح الهوية الفردية أو الذاتية أو الشخصية للتعبير عن شعور الفرد بفردانيته وتميزه عن غيره داخل الجماعة الواحدة إن كانت قبيلة أو حزب أو مؤسسة..أي هي كل "أنا" لها "آخر".
- **الهوية الاجتماعية:** تعني اندماج وتموضع الفرد في محيطه الاجتماعي بحكم الانتماء والمشاركة في الجماعة والمؤسسات الاجتماعية التي ينتمي إليها، والجماعات داخل الأمة هي كالأفراد داخل الجماعة. وعليه فإن الهوية الاجتماعية تستمد من العضوية في الجماعة التي يصفها عالم الاجتماع الفرنسي **بيار بورديو** Pierre Bourdieu بقوله هي الالتحام كـ"نحن" في مقابل "هم" و"الآخرون".
- **الهوية الثقافية:** إذا كانت الهوية معناها الأساسي التفرد فإن الهوية الثقافية هي التفرد الثقافي وحسب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "هي النواة والتركيبة الجوهرية من السمات العامة المشتركة التي تميز حضارة أمة ما عن غيرها من الحضارات بما تحمله من عادات، أنماط سلوك، قيم، وتاريخ مشترك". ونجدها تشير غالبا حسب سياقها ومدلولها إلى الهوية الوطنية، وتتحرك الهوية الثقافية على شكل 3 دوائر: الفرد داخل الجماعة (الهوية الفردية "الأنا")، الجماعات داخل الأمة (الهوية الجمعوية: قبلية، طائفية، حزبية..)، الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى (الهوية الوطنية، القومية).

إذا كانت الهوية باختلاف تصنيفاتها تعني الخصوصية والتميّز، فما الذي يعطيها خصوصيتها ويحدد مقوماتها؟ ما العوامل المشتركة بيننا وبماذا نختلف عن الآخرين؟

2. مقوّمات الهوية الثقافية: يجيب **أمين معلوف** الأديب اللبناني حول مقوّمات الهوية في مؤلَّفه "الهويات القاتلة" أنها لا تقتصر على تلك المدوّنة في بطاقة التعريف والسجلات الرسمية بل تشمل الانتماء إلى تقليد ديني، جنسية أو جنسيات، مجموعة إثنية أو لغوية، مهنة ومؤسسة ووسط اجتماعي ما..ويصنّف بعضها بالموروثات Les Gènes de l'àme التي تتغير بتغيّر الزمن والممارسات.

أما في تحديدنا لمقومات الهوية الثقافية سنعتمد على دستور بلدنا الجزائر الذي يعد بمثابة عقد اجتماعي يبرمه الشعب مع من يحكمه وهي وفقه تتحدد فيما يلي:

أ. **الدين:** يلعب الإسلام عامل مهم في تشكيل الهوية الدينية وتشكيل قوة موحدة بين مختلف التجمعات العرقية التي من الممكن أن تكون في صراع أو تضاد، فالدين كمكوّن موضوعي مستقل (في الجزائر مثلا) كان ولازال محسوما في أغلب فتراته لصالح الإسلام السني المالكي.

ب. **اللغة:** تنفرد الجزائر باللغة العربية والأمازيغية بتعدد لهجاتهما، واللغة العربية الأم هي المعتمدة في التدريس والتسيير الإداري والقضاء والتواصل.

ج. **الموطن الجغرافي:** أي حدود الأرض ومحل الإقامة الدائم بغض النظر عن الأصل الجغرافي والبلاد التي هاجر منها قبل عقود لأسباب تاريخية قبل أن يستقر به الترحال في الموطن المعروف أنه أرض خاصة به.

د. البعد التاريخي: تلك المراحل المتراكمة من الأحداث التي شارك فيها هو أو الآباء أو الأجداد، فالتاريخ جزء مهم في تشكيل الهوية، ومجتمع بلا تاريخ بلا حاضر وبلا مستقبل، والخصوصية الملازمة للشعب الجزائري هي ارتباطه الوثيق بتاريخه المجيد المتداول عبر الأجيال بأسماء رمزية كالعربي بن مهيدي وبن بولعيد ولالا فاطمة نسومر والأمير عبد القادر...أسماء لمحاربين لم يدخلوا التاريخ إلا لأنهم حرّروا جغرافيا المكان.

المحاضرة الرابعة: اتجاهات الامبريالية الثقافية والإعلام

1. ما المقصود بالإمبريالية وما علاقتها بوسائل الإعلام؟

هي حالة تغليب الثقافة الأجنبية على ثقافة الشعب مّما يخلق هوة بين ماضي ذلك الشعب وحاضره وبينه وبين تراثه الثقافي لصالح رفع شأن الثقافة الأجنبية وطمس معالم الحضارة المحلية أو الوطنية وفرض نوع من الاغتراب على الشعوب المستضعفة أو الهشة، مثلما حاولت الدول الاستعمارية للأقطار العربية عقب الحرب العالمية الأولى بغزو الثقافة العربية ومحاولة طمس معالمها الحضارية والإنسانية وتزوير حقيقة ماضيها والطعن في وجودها وأهميتها. وهناك من يعتبرها نزعة استعمارية جديدة سلاحها الثقافة وصناعة الإعلام وهي قائمة على الهيمنة والتبعية.

هذا المصطلح استخدمه عدد من المفكرين الماركسيين النقديين لوصف أثر انتشار وسائل الإعلام الغربية (الأمريكية خاصة) التي تسعى لفرض ايديولوجياتها واستنساخ كم من القيم والمعتقدات في البرامج التلفزيونية والأفلام والكوميديا وأشكال أخرى..

وفي هذى الصدى يقول **هربرت شيللر Herbert SCHILLER** "من يمتلك المعلومة يمتلك السلطة ويمتلك المعرفة التي تنير له الكثير من مناطق الظل المظلمة"، فقد شبه الباحث الحامل للمعلومة كمن ينعم بالنور بينما الذي لا يمتلكها كالذي يغرق في الظلام. بالتالي فالدول التي تمتلك المعلومات وتديرها وتتحكم في تدفقها تمتلك الحقيقة التي تنوّر مواطنيها وتساعدها في بناء واتخاذ القرارات الصحيحة وفي الأوقات المناسبة، بينما الدول التي لا تمتلك المعلومات تسبح في ظلامية الشكوك وتتخذ القرارات العشوائية والارتجالية وغير مدروسة لأنها لا تنبني على حقائق ومعطيات بقدر ما هي تنبني على انطباعات وتخمينات انفعالية وتبعية.

ونجد من بين الاتجاهات الواصفة لهذا الطرح مدرسة التبعية الثقافية التي تُدعى أيضا بمدرسة الإمبريالية الثقافية، تركز في أساسها النظري على الإعلام الوافد وفكرة أن لوسائل الإعلام الجماهيرية قوة فعالة وتأثير كبير على الناس باختلاف مستوياتهم وتخدير العقول والقيم وأنماط التفكير، وهي تشكل خطرا على البلدان النامية ومصالحها الاقتصادية وهويتها الثقافية.

2. اتجاهات الامبريالية:

أ. العولمة الثقافية:

العولمة ترجمة للمصطلح الفرنسي Mondialisation أي جعل الشيء على مستوى عالمي ونقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود، وترجمة الكلمة الإنجليزية Globalization أي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل. وفي أبسط مفهوم هي تعميم نموذج الحضارة الغربية وأنماطها السياسية الاقتصادية الاجتماعية والثقافية على العالم كله، وتشير إلى بروز الثقافة كسلعة عالمية تُروّج كأي سلعة تجارية في محاولة لوضع شعوب العالم في قوالب فكرية موحّدة لسلخها من موروثها وحضارتها. تسير بمنطلق: ثقافة الغرب هي المثل الأعلى.

✓ يمكن تحديد **غاياتها** في بعض النقاط:

- إشاعة المعلومات لدى جميع الناس.
- تذويب الحدود بين الدول.
- زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات.
- غزو مختلف الآفاق السياسية والثقافية والاقتصادية مثل محلات الأكل السريع ماكدونالدز Mcdonald's.
- ثقافة اتصالية جد متطورة وسريعة الانتشار.
- هيمنة قوى كبرى (أمريكا) على غيرها.

✓ **مخاطرها على الهوية الثقافية:**

- تحديد الذاكرة الجماعية وتاريخ الأمم وتنميط رموزه ورسم تاريخ جديد تسيطر عليه.
- التنافسية والبقاء للأقوى مما يدفع البشر إلى سباقات لأهداف مادية.
- التوحد الثقافي وقتل الإبداع والتنوع والاختلاف، وتهميش الثقافة الوطنية والقومية.
- محاولة تفكيك الوحدة الوطنية باستفزاز الأقليات لإبراز خصوصياتهم وتشجيع الاختلافات الطائفية والعرقية..
- تأثير العلم وحده كعامل مؤثر للمجتمع واستبعاد الدين وتحييده عن مجال التأثير.

ب. الغزو الثقافي:

أسلوب غير مادي يوظف لإخضاع الآخرين وفرض مجتمع ما لقيمه على مجتمع آخر بالقوة، اقترن هذا المفهوم بفترة الهيمنة الأوروبية على العالم بفعل الاختراق والتسلل، ويعتبر وليد غير شرعي للغزو العسكري غير أنه لا يستعمل القوة والمواجهة المسلّحة، بل إن وسائله ناعمة وخادعة ومحفوفة بالشهوات لذلك الاستجابة لها تكون أسهل وأسرع، وهو قليل التكلفة مقارنة بالآخر ونتائجه أبعد وتبقى الأجيال متأثرة به إلى زمن طويل ويبقى قائما في عقول وقلوب الناس من خلال محو الذاكرة التاريخية وربما اللامبالاة وفقدان الانتماء.

مثلا الدول التي كانت خاضعة للسيطرة الأوروبية نجدها تعيش أزمة ثقافية باستنساخ المنهج الأوروبي وعقول مثقّفيها لا تدرك إلا النمط الثقافي الغربي، خاصة إذا كان هذا المجتمع لا يملك القدرة على تجديد ثقافته ولا يقتنع بالركود فسوف يبحث عن البديل وتتدخل مجتمعات أخرى ذات مصلحة في التأثير لتلبية الحاجات فينشط التأثر الثقافي في حال قبوله.

ج. الاختراق الثقافي:

ليس هناك فرق عن الغزو من حيث الهدف، غير أن الاختراق يعتمد على الوسيلة والتطوّر التقني في مجالات الاتصال أين تتدفّق المعلومات وتتسرب والدولة المالكة للثقافة والقوة تقنيا أكثر قدرة على التأثير بإنشاء نظام جديد للهيمنة والإخضاع، بتكييف وعي الناس وإعادة

صياغته والسيطرة على الإدراك ومنه تسطيح الوعي وربطه بمشاهد ذات طابع إعلامي وإشهاري مثير للإدراك والانفعال...بالتالي تعطيل فعالية العقل وتنميط الذوق وقولبة السلوك.

المحاضرة الخامسة: أهم التيارات الثقافية

1. النظرية الماركسية في الثقافة:

يعتقد **كارل ماركس Carl Marx** أن الثقافة لها أصل مادي، وهي تعبير عن إيديولوجية الطبقة الحاكمة (المالكون لوسائل الإنتاج) تستعمل قوتها الاقتصادية لرسم ثقافة المجتمع، فالطبقة التي تمتلك وسائل الإنتاج المادية تكون لها السيطرة على وسائل الإنتاج الفكرية، بينما تعاني الطبقة العاملة من وعي طبقي زائف، حيث يرى **ماركس** أن ثقافة المجتمع ككل سوف تتغير وتستبدل بالشيوعية عندما تتمكن الطبقة العاملة من الحد من سيطرة الرأسمالية وإنتاج أشياء معبرة عن وجودهم الإنساني.

2. الماركسيون الجدد والثقافة:

تأثر هذا التيار بالماركسية غير أنها تتفق على أن الثقافة تمتلك قدرا كبيرا من الحرية والاستقلالية عن المؤثرات الاقتصادية، ولا وجود لتطابق صريح وواضح بين الطبقة والثقافة. حسب العالم البريطاني **ريموند وليامس Raymond Williams** من خلال كتابه "الثقافة والمجتمع" وهو في نقده للماركسية والثقافة يؤكد أنه لا يجب التركيز على حقل ضيق كالفن والأدب لتفسير كل شيء موازي للثقافة، بل يجب أن تشمل كل العلاقات المتبادلة بين جميع مظاهر الواقع الاجتماعي.

3. مركز برمنجهام للدراسات الثقافية المعاصرة:

تستند مدرسة **برمنجهام** التي برزت في بريطانيا كثورة ضد منهج الدراسات الأدبية الكلاسيكية وضد المفهوم التقليدي للثقافة إلى مجموعة من الفلسفات لرواد هذه المدرسة أبرزهم **ريموند ويليامس Raymond Willims**، **ريتشارد هوقارRichard Hoggart**، **دافيد مورلي David Morley**، **ستيوارت هول Stuart Hall**...الذين كان لهم الفضل في تشكّل الدراسات الثقافية كتخصص أكاديمي مع بداية ستينات القرن 20، بتبني اتجاه علمي متعدد التخصصات توسّعت لتشمل ثقافة الشباب، الممارسات والثقافة الشعبية المعيشة التي كانت لزمن طويل تصنّف في خانة "اللانص" من منظور الثقافة الرفيعة، أي ممارسات وضيعة وأشكال دنيا غير جديرة بالدراسة والتحليل، إضافة لمسألة الهويات والتعددية الثقافية وعلم العلامات وحتى المواضيع المتطرّفة كالجنوسة والإيديولوجيات وكل ما له علاقة بالبنى الاجتماعية، فحاولوا تحليلها ونقدها لتتشكل لديهم صورة أوضح حول تلك الثقافات الإنسانية من أجل فهم الآخر، وهذه الدراسات اتخذت من الأنثروبولوجيا الثقافية كاستراتيجية في قراءة الخطابات الثقافية ونقدها.

4. ثقافة النخب وثقافة الجمهور:

يرى الناقد البريطاني **فرانك ريموند ليفز** أن صيانة وديمومة الثقافة تعتمد على احتفاظ الأقلية النخبوية بأكثر الأذواق تميّزا، لكن في عام 1931 أصبح ذوق هذه المجموعة وثقافة الجماهير كلاهما تحت تهديد، فالنخبة المثقفة تعرضت للتهديد من جانب المنتجات التي أفرزتها وسائل الاتصال الجماهيرية، وهذه المعطيات أو المنتجات أصبحت متوفرة لكل شخص وبكميات كبيرة مما أغرق الإحساس الجمالي لثقافة تلك النخبة، حيث يقول **ليفز** كان القارئ أثناء مراحل حياته يتحرك ضمن عدد محدود من الإشارات التي لم يكن التنوع فيها كبيرا، وبذلك فقد كان قادرا على اكتساب قدرة التفرد والتميز وهو يتجه على طول الخط، أما القارئ الحديث أصبح معرضا لسيل من الإشارات الهائلة في تنوعها وأعدادها مما جعل من

الصعب عليه القيام بالتمايز ما لم تكن لديه موهبة خاصة أو مزايا معينة، كما يرى أن أضرار الثقافة نتجت عن مظاهر التحديث مثل اختراع السيارة الأمريكية وتشتت العوائل وتأثير عمليات البيع والإنتاج الواسع والتنميط، وكان **ليفز** حادا في نقده للإعلام المسيطر آنذاك كالراديو والأفلام باعتبارهما –في رأيه– نوع من التسلية السلبية كونهما لا يشجعان الناس على التفكير ولا يسمحان باستخدام العقل بشكل بنّاء والسينما خصيصا تعرضت للهجوم الشديد لأن الأفلام تستلزم الاستسلام والانسياق وراء الإغراءات العاطفية في ظل أجواء من التنويم للمتلقي.

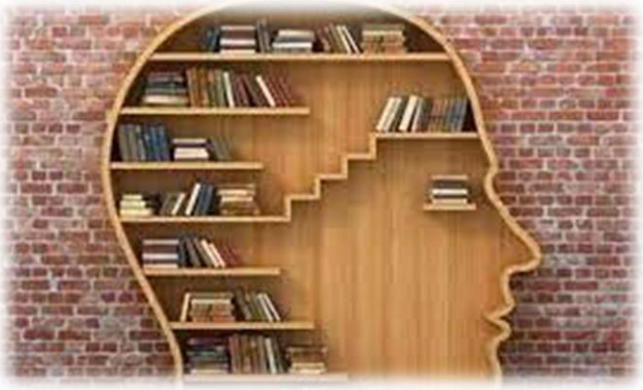

5. نظرية الثقافة الجماهيرية:

في عام 1957 شن **برنار روزنبرك Bernard Rosenberg** هجوما عنيفا على الثقافة الجماهيرية في أمريكا، فحسب رأيه بالرغم من المستوى المعيشي المرتفع الذي حققه المجتمع الأمريكي إلا أن ذلك كان على حساب الثقافة التي عانت من التدهور، فالتكنولوجيا الجديدة أزاحت معظم الأعمال اليدوية واستهلكت المزيد من وقت الأفراد، فحصلوا على المزيد من التسلية والراحة، ومع ذلك فهم يشعرون بأقل قناعة مما سبق، وقد أجاب **كيفن ماكدونالد** (باحث أمريكي في علم النفس) على سؤال: لماذا أصبحت الثقافة الجماهيرية مشكلة؟ بقوله أن الثقافة الرديئة سوف تطرد الثقافة الجيدة والناس وجدوا أن الثقافة الجماهيرية سهلة الفهم وتأخذ القليل من الجهد الذهني ولذلك فالمقصود منها تجاهل وإضعاف الثقافة العليا، وذلك

يؤدي إلى خلق ثقافة نمطية واحدة. إذن الثقافة العليا سوف تُبتذل وتندمج بشكل مبسط من ثقافة الجماهير فمثلا: الثقافة العليا للمسرح سوف تقوَّض من طرف الثقافة الجماهيرية للسينما.

6. النظرية البنيوية Structuralism:

هي من الاتجاهات المؤثرة في دراسة الثقافة، وقد برزت في الأساس من النظريات اللسانية والاتجاه البنيوي، ترى أن اللغة هي المفتاح في إدراك العالم الاجتماعي، فمعظم الحياة الاجتماعية تتم عبر اللغة وتنطبع بها.

يُعتبر **فرديناند دي سوسيور Ferdinand De saussure** (1857-1913) المؤسس لعلم السيميولوجيا، وتم توظيف هذا العلم في فهم الثقافة حيث استعمل **ديك هيبيج** السيميولوجيا في محاولة منه لفهم معاني عدد من ثقافات الشباب في بريطانيا بعد الحرب كطريقة تصفيف الشعر، فالأساليب الثقافية لتلك الجماعات الفرعية أصبحت تشكل إشارات قوية للدفاع ضد المجتمع، وجميعها تؤكد الانتماء إلى ثقافات فرعية معينة والتعبير عن المعاني لدى كل تلك المجموعات (كل ثقافة فرعية تعبر عن نفسها برد فعل لتتحدى هيمنة الثقافة السائدة).

الشباب السود البريطانيون كذلك طوروا ثقافتهم الفرعية طبقا للتشابه والاختلاف مع طريقة ارتداء الآخرين للملابس، مثلا في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى كان المهاجرون

الأوائل من المحيط الهادي يرتدون الملابس التقليدية الأنيقة التي عكست طموحهم في النجاح في بريطانيا، وفي السبعينات بعد الإخفاق الناتج عن البطالة والتمييز العنصري بين صفوف السود، بدأ هؤلاء بالتعبير عن ذلك بملابسهم وأسلوبهم الثقافي ذي الطابع الجامايكي الذي يعبر عن الهوية السوداء والمقاومة ضد سيطرة الثقافة البيضاء في المجتمع البريطاني.

المحاضرة السادسة: تابع للتيارات الثقافية

7. ما بعد البنيوية Post-Structuralism:

يشير مصطلح ما بعد البنيوية إلى أعمال الكتّاب **جاك دريدا، جاك لاسن، وميخائيل فوكت**، حيث نجد أن:

- **جاك دريدا:** ركز على اللسانيات وعلى معاني اللغة.
- **جاك لاسن:** اهتم بالتحليلات السيكولوجية والفروقات الجنسية.
- **ميخائيل فوكت:** اهتم بنشطات الجنس والجنون والعلاقة بين السلطة والمعرفة.

إذا كانت البنيوية تؤكد على اللغة وإمكانية وجود أبنية ثابتة في المجتمع تعكس فكر الإنسان (الحقيقة ضمن النص)، فإن ما بعد البنيوية تتمحور حول التمرد داخل النص وخارجه، داخله من حيث استراتيجية التفكيك والتحليل القائمة على لا نهائية المعنى وأن كل قراءة تحمل قراءة مضادة في الوقت ذاته، أما خارج النص تتمثل في التطلع إلى طبيعة الدلالات التي تبثّها الإشارات النصية أو اللانصية حول ما هو اجتماعي وثقافي بهدف انفتاح الدلالة وإعادة قراءة العالم والنصوص بشكل جديد، والتأكيد على التفاعل بين القارئ والنص وسياق المعنى وخارجه في الواقع.

إضافة لرفض الكثير من البنى الأساسية في المجتمع كنظرية ماركس والبناء الطبقي الذي يطبع العلاقات الاجتماعية ويعكس فكر الإنسان.

8. الحداثة وما بعد الحداثة:

أولا/ ثقافة الحداثة: يرى **ستيفن كروك** Crook وزملائه أن هناك 3 خصائص رئيسية للحداثة هي:

أ. التمييز Différentiation: بمعنى تجزئة المجتمع إلى أجزاء مختلفة متميزة عن بعضها: مجالات ثقافية، سياسية، اقتصادية...ثم انفصلت الثقافة وتميزت عن مظاهر الحياة الأخرى، حيث أنتجت من قبل المتخصصين الذين تدربوا في مؤسسات خاصة، واستهلكت في أماكن معينة، وهذا أدى بالنتيجة إلى وضع أساس للتمييز بين ثقافة العامة أي ثقافة الناس العاديين والثقافة العالية هي إنتاج المتخصصين من الأفراد والمؤسسات.

ب. التشيّؤ Commodification: تحويل المنتجات الثقافية إلى أشياء أو سلع يمكن بيعها وشراءها بسهولة (يحط من القيمة الجمالية ويهدد بقاء الفن الراقي).

ج. العقلانية Rationalization: طبعت الثقافة الحديثة، فالموسيقى تأثرت كثيرا بالعقلانية المنسجمة التي استخدمت فيها الرياضيات في خلق الموسيقى المتناغمة، أي إنتاج الموسيقى وأشكال الفن الأخرى واستخدام التكنولوجيا لغرض تسهيل استنساخ وإعادة خلق الثقافة. مثلا البيانو سمح بدمج نسخة معقّدة من الموسيقى في آلة واحدة، الراديو وجهاز التسجيل سمحا للموسيقى بأن تستهلك على نطاق واسع، والطباعة سهّلت من إعادة إنتاج الفنانين (لوحات).

ثانيا/ ثقافة ما بعد الحداثة

في مجتمعات الحداثة تميزت الثقافة عن مجالات الحياة الاجتماعية الأخرى، وكذلك تميزت الثقافة العليا عن الثقافة الشعبية. غير أن ما بعد الحداثة غيرت ذلك الاتجاه بشكل معاكس، حيث يعتقد **كروك** ورفاقه أن تكثيف بعض العمليات ضمن أعمال الحداثة كالتميز والعقلانية والتشيّؤ قاد إلى ما بعد الحداثة.

أ. التشيؤ الواسع: كل مجالات الحياة الاجتماعية أصبحت ذات صفة سلعية خاضعة للبيع والشراء، ففي المجتمعات الحديثة بقيت بعض أوجه الحياة الاجتماعية بعيدة عن المتاجرة،

وشكلت مصدرا رئيسيا للهوية مثل: الحياة العائلية..وبحصول التشيؤ الواسع وجود غزو سلعي لكل مجالات الحياة الاجتماعية فكل نشاطات أصبحت خاضعة لبرامج التسويق السلعي والاستهلاك الذي كان يتم في المنزل وضمن أعضاء نفس العائلة أصبح وبشكل متزايد يأخذ طابعا مختلفا وذلك عبر الاستهلاك المنفرد لمختلف الأشياء (فالأطفال أصبح لهم تلفزيون خاص بهم ويجلسون في غرف مختلفة ويشاهدون برامج تلفزيونية واعلانات مختلفة ويتناولون غداء مختلفا، فأصبح لكل فرد أسلوب حياة خاص به).

ب. العقلانية المفرطة: استعمال التكنولوجيا في نشر الثقافة على نطاق واسع كسر قيود الزمان والمكان لاستهلاكها، مما أدى بالأفراد إلى اختيار أسلوب حياتهم الخاص بعد الاستنساخ الإعلامي وإعادة الإنتاج التي بدأت تحل محل الأصالة ومحل الأشياء الواقعية، فالمسارح وقاعات الموسيقى التي كان يجتمع فيها الناس في وقت واحد أصبحت أقل أهمية فاختلّ التمييز بين الثقافة الأصيلة والثقافة الغير أصيلة.

ج. التميز المفرط: تجزئة الأشكال الثقافية الجذابة دون سيطرة شكل محدد، فمثلا: الثقافة الشعبية تفرّعت إلى عدد كبير من الأساليب المختلفة كل له مستمعيه الخاصين، وبما أن التنوع أصبح هو الطابع المميز، فاندمجت الثقافة العليا بالأشكال الأخرى مثلا الموسيقى الكلاسيكية استعملت كخلفية للإعلان والأفلام والبرامج التلفزيونية...وهذا التداخل المتزايد أدى إلى إزالة الفروق وتحطيم الحدود الفاصلة بين مختلف أشكال الثقافة وخاصة بين الثقافة العليا والثقافة الشعبية التي لم تعد انفرادية بالتميّز في مجتمعات ما بعد الحداثة.

9. الثقافة من منظور مدرسة فرانكفورت الألمانية:

تأسست مدرسة فرانكفورت سنة 1923 في مدينة فرانكفورت على أنقاض معهد البحوث الاجتماعية الذي تولى تسيير شؤونه في البداية باحث أرثوذوكسي (متشدد) للفكر الماركسي نمساوي الأصل يدعى **كارل غرونبرغ**، وبمجرد حلول عام 1931 تولى **ماكس هوركهايمر** إدارتها، وقد استعملت تسمية مدرسة فرانكفورت بداية من سنوات الستينات للدلالة على

مجمل أفكار رواد هذا المعهد القائمة بالأساس على فكرة النقد، لذا تعرف كذلك بالمدرسة النقدية. ومن أهم المواضيع التي اهتم رواد هذه المدرسة بنقدها هي الإعلام وكذا الصناعات الثقافية بشكل خاص وذلك في كل المجتمعات بدون استثناء سواء الرأسمالية أو السوفيتية وحتى الأنظمة الفاشية في أوروبا، وقد اعتبر رواد هذه المدرسة خاصة **تيودور أدورنو** و**ماكس هوركهايمر** في مقال مشترك لهما "ثقافة الصناعة: التنوير وخدعة الجماهير" أن صناعة الثقافة بما تشمله من إنتاجات ترفيهية وترويجية لأنشطة التلفاز والسينما والموسيقى الشائعة والإذاعة والصحف والمجلات..هي علامة واضحة على إفلاس الثقافة وسقوطها في السلعنة، ذلك أن تحويل الفعل الثقافي إلى قيمة تجارية يقضي على قدرة الأفراد على التفكير النقدى المستقل مما يؤدي إلى اضمحلال الفنون الإبداعية وحصر انتشارها ويحرمه من أن يخوض تجربة متأصلة، فالصناعة الثقافية هي العلامة الفاصلة على تراجع الدور الفلسفي والفكري للثقافة والذي لعبته لمدة طويلة في التاريخ على مستوى الحياة الاجتماعية والاقتصادية. وفي هذا الإطار يرى الباحثين كذلك بأن الصناعة الثقافية لن تؤدي إلى تحرير الفرد بل ستؤدي إلى شكل جديد من أشكال الاستبداد، يتمثل في فرض نمط موحد لعيش الأفراد من خلال سيطرة منطق اقتصادي واحد، أي أن الاستبداد ليس موجودا فقط في المجتمعات الفاشية بل حتى في المجتمعات الليبرالية.

وقد كان الإشكال الذي طرحته مدرسة فرانكفورت في ما يخص الصناعة الثقافية في المجتمعات الصناعية هو:

كيف يمكن لصناعة الثقافة أن تمارس هذا الدور الإيديولوجي الذي يسهم في المحافظة على نظام رأسمالي يستعمل الأغلبية من أجل مصالح الأقلية؟

وقد كانت الإجابة في مجموعة من النقاط هي:

1. الصناعة الثقافية تلعب دور إيديولوجي حاسم فهي من توجه أساليب الاستهلاك وتتحكم في أوقات الفراغ وتقنع الناس بأنهم يعيشون في أفضل مجتمع ممكن.

2. المنتجات الثقافية يتم إنتاجها بشكل موحد وضخم وذلك بنفس الطريقة التي تنتج بها المواد الأخرى من خلال الصناعة.

3. الصناعة الثقافية تقدم للفرد القيم الرأسمالية كالنجاح الفردي، المكانة المركزية للمال، والقيم المادية.

قائمة المراجع لمزيد من الاطّلاع:

- سمير الخليل، **دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي: إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة.** ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2016.
- عبد الله الغذامي، **الثقافة التلفزيونية: سقوط النخبة وبروز الشعبي.** ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005.
- سمير الخليل، طانية حطاب، **دراسات ثقافية: الجسد الأنثوي، الآخر، السرد الثقافي.** دار ضفاف للنشر، بغداد، 2018.
- ادوارد سعيد، **الثقافة والامبريالية.** تر: كمال أبو ديب، ط4، دار الآداب للنشر والتوزيع، لبنان، 2014.
- محمد حسن عامري، **المدخل الثقافي في دراسة الشخصية**، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1989.
- حجام الجمعي، محاضرات في مادة: الدراسات الثقافية والوسائط المتعددة، موجهة لطلبة السنة الثانية ماستر تخصص الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة، جامعة أم البواقي، 2021/2020.
- Armand MATTELARD et Erik NEVEU, **Introduction aux Cultural Studies**, La Découverte, Paris, 2003.
- Ralph LINTON, **The Cultural Background of Personality**. Bordas, Paris, 1977.
- Amin MAALOUF, **Les identités meurtrières**, Edition grasset & fasquelle, France, 1998.